ومن آثار العمل بهذه الآية في السنة ما في صحيح البخاري : أن فاطمة " Bها " بلغها أن سبيا جيء به إلى النبي A فأتت تشتكي إليه ما تلقى من الرحى تسأله خادما من السبي فلم تجده . فأخبرت عائشة بذلك رسول ا A فجاءها النبي A وقد أخذت وعلي مضجعهما فجلس في جانب الفراش وقال لها ولعلي : ألا أخبركما بخير لكما مما سألتما تسبحان وتحمدان وتكبران دبر كل صلا ثلاثا وثلاثين فذلك خير لكما من خادم .

وأمر ا رسوله بما هو أعظم مما يأمر به أهله وهو أن يصطبر على الصلاة . والاصطبار : الانحباس مطاوع صبره إذا حبسه وهو مستعمل مجازا في إكثاره من الصلاة في النوافل . قال تعالى (يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا) الآيات وقال (ومن الليل فتهجد به نافلة لك) .

وجملة (لا نسألك رزقا) معترضة بين التي قبلها وبين جملة (نحن نرزقك) جعلت تمهيدا لهاته الأخيرة .

والسؤال : الطلب التكليفي أي ما كلفناك إلا بالعبادة لأن العبادة شكر ا على ما تفضل به على الخلق ولا يطلب ا منهم جزاء آخر . وهذا إبطال لما تعوده الناس من دفع الجبايات والخراج للملوك وقادة القبائل والجيوش . وفي هذا المعنى قوله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون أن ا هو الرزاق ذو القوة المتين) فجملة (نحن نرزقك) مبينة لجملة (ورزق ربك خير وأبقى) . والمعنى : أن رزق ربك خير وهو مسوق إليك .

والمقصود من هذا الخطاب ابتداء هو النبي A ويشمل أهله والمؤمنين لأن المعلل به هذه الجملة مشترك في حكمة جميع المسلمين .

وجملة (والعاقبة للتقوى) عطف على جملة (لا نسألك رزقا) المعلل بها أمره بالاصطبار للصلاة أي إنا سألناك التقوى والعاقبة .

وحقيقة العاقبة : أنها كل ما يعقب أمرا ويقع في آخره من خير وسر إلا أنها غلب استعمالها في أمور الخير . فالمعنى : أن التقوى تجيء في نهايتها عواقب خير .

واللام للملك تحقيقا لإرادة الخير من العاقبة لأن شأن لام الملك أن تدل على نوال الأمر المرغوب وإنما يطرد ذلك في عاقبة خير الآخرة . وقد تكون العاقبة في خير الدنيا أيضا للتقوى .

وهذه الجملة تذييل لما فيها من معنى العموم . أي لا تكون العاقبة إلا للتقوى . فهذه

الجملة أرسلت مجرى المثل .

(وقالوا لو لا يأتينا بآية من ربه أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى [133]) E A

رجوع إلى التنويه بشأن القرآن وبأنه أعظم المعجزات . وهو الغرض الذي انتقل منه إلى أغراض مناسبة من قوله (وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا) .

والمناسبة في الانتقال هو ما تضمنه قوله (فاصبر على ما يقولون) فجيء هنا بشنع من أقوالهم التي أمر ا رسوله بأن يصبر عليها في قوله (فاصبر على ما يقولون) . فمن أقوالهم التي يقصدون منها التعنت والمكابرة أن قالوا : لولا يأتينا بآية من عند ربه فتؤمن برسالته كما قال تعالى (فليأتنا بآية كما أريل الأولون) .

و (لولا) حرف تحضيض .

وجملة (أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى) في موضع الحال والواو للحال أي قالوا ذلك في حال أنهم أتتهم بينة ما في الصحف الأولى . فالاستفهام إنكاري ؛ أنكر به نفي إتيان آية لهم الذي اقتضاه تحضيضهم على الإتيان بآية .

والبينة : الحجة .

والصحف الأولى : كتب الأنبياء السابقين . كقوله تعالى (إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى) .

والصحف : جمع صحيفة . وهي قطعة من ورق أو كاغد أو خرقة يكتب فيها . ولما كان الكتاب مجموع صحف أطلق الصحف على الكتب .

ووجه اختيار الصحف هنا على الكتب أن في كل صحيفة من الكتب علما وأن جميعه حواه القرآن فكان كل جزء من القرآن آية ودليلا